مجلة المرابط

العدد : ١٨٤ الموافق في جمادى الثانية ١٤١٧ هجري ١١ / ١٩٩٦ ميلادي

عنوان المقال : وعدٌ... و وعد... !	بقلم : متولي موسى

جاء في المعجم الوسيط أن العرب تقول : وعد فلاناً الأمر أو بالأمر : قال له : إنه يجريه له أو يُنيلُه إياه...

والوعد قد يكون في الخير أو في الشر ، وقد يكون في الدنيا أو الآخرة. وأما تنفيذ الوعد فيتوقف على صدق الواعِد وقدرته على الوفاء بالوعد.

وعد الله تعالى حق

بين القرآن الكريم أن الوعد الحق هو وعد الله تعالى ، ولما كان الأنبياء والرسل في دعواتهم مبلغين عن الله تعالى ، فإن وعدهم صادق... ولكن أكثر الناس لا يعلمون أو غافلون... أو غرتهم الحياة الدنيا... أو غرهم بالله الغرور... ويكفي هنا التذكير بعدد من النصوص التي تؤكد ما أجملت ، ومنها قول الله تعالى :

- { **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وَعْدَ الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً** } [النساء : ١٢٢].
- { **يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ❋ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً** } [فاطر : ٥-٦].
- { **فلا تحسبن الله مُخْلفَ وعدِه رسلَه** } [إبراهيم : ٤٧].
- { **واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا** } [مريم : ٥٤].
- { **وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون** } [الروم : ٦].
- { **ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون** } [يونس : ٥٥].
- { **وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان ليَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم** } [إبراهيم : ٢٢].

ومن كل ذلك يتبين أن وعد الله تعالى الذي جاء في الوحي وعد صادق ، والله تعالى وحده هو الذي يملك كل أسباب إنجاز ما وعد فهو عز وجل الذي : { **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** } [يسن : ٨٢].

نماذج تحقق ما وعد الله تعالى به

في غزوة الأحزاب زُلزل المؤمنون زلزالاً شديداً ، والرسول ﷺ الصادق الوعد ينقل لهم وعد الله تعالى بالنصر ، وبالفعل أرسل الله تعالى الريح وأنزل جنوداً غير منظورة على المشركين فتحقق الوعد الصادق ، ونقل الله تعالى لنا خبر ذلك في سورة الأحزاب ، ونذكر هنا بقوله عز وجل : { **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً** } [الأحزاب : ٢٢]. وفي غزوة أحد كان الدرس عظيماً ، إذ أن كل وعد وعده الله تعالى له شرط ، فإذا حقق المسلمون شرط الله تعالى أنجز لهم وعده ، فتدبر قوله عز وجل : { **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليَكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين** } [آل عمران : ١٥٢].

نزلت هذه الآية لما قال بعض المسلمين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر... وقد كان الظفر للمؤمنين في البداية ، حتى قتلوا صاحب لواء المشركين وتسعة نفر بعده ، فلما اشتغل بعضهم بالغنيمة ، وترك بعض الرماة أماكنهم طلباً للغنيمة ، ووقعت المعصية لأمر الرسول ﷺ ؛ كان ذلك سبب الهزيمة ، وتدبر قول الحق سبحانه : { **حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم** } تفيد بلوغ الغاية ، فقد كان النصر لكم في الابتداء حتى وقع الفشل والنزاع والمعصية...!!!

ونقل الله تعالى صوراً تثبت تحقق وعد الله تعالى ووعيده في الآخرة ، منها ما جاء في قوله عز وجل : { **ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربُنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم** } [الأعراف:٤٤] . وجاء في قوله تباركت أسماؤه : { **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ۞ قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين** } [الزمر : ٧٣-٧٤].

وَعْدُ الله تعالى المؤمنين ووعد بلفور للصهاينة

وعد الله تعالى المؤمنين الصادقين وعداً عاماً بالاستخلاف في الأرض لتحقيق شرع الله تعالى وإقامة العدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال سبحانه : { **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي**

ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون } [النور : ٥٥].

ووعد الله تعالى المؤمنين وعداً خاصاً بفلسطين وهي الأرض التي باركها الله تعالى حول المسجد الأقصى فأخبر بذلك في قوله عز وجل : { **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدونّ في الأرض مرتين ولتعلنّ علواً كبيراً ❁ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ❁ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ❁ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ❁ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا** } [الإسراء : ٤-٨].

إنني على يقين من تحقق وعد الله بإهلاك اليهود والصهاينة وتطهير بيت المقدس والأرض المباركة حوله من اليهود ، إذا وجد المؤمنون الصادقون الذين حققوا شروط تحقق وعد الله تعالى ، إذ أن البلاد الإسلامية والأنظمة القائمة فيها تخلت عن تحقيق شروط الله تعالى ، ويكفي أن نسأل أنفسنا فقط عن تنفيذ أوامر الله تعالى في هذا الشأن من مثل قوله تعالى : { **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** } [الأنفال : ٦٠] ، نعم فقط في هذا المجال : كم أنفق العراقيون في حربهم مع إيران وفي احتلالهم الكويت ؟ وكم قدم الخليجيون من الأموال ومن التضحيات لتطهير الكويت مما فعله النظام العراقي ؟! وكم أنفق الصوماليون في حربهم الأهلية ؟ وكم أنفق المسلمون - جميعاً - والأفغان خاصة لإخراج الروس من أفغانستان ؟ وكم أنفق الأفغان في حربهم الدائرة حتى الآن ؟!! وكم... وكم...

إن المستقرئ لواقع المسلمين في هذه الأيام يجد أنهم ليسوا هم أصحاب الحق في إنجاز وعد الله تعالى لهم - ماداموا على هذه الحال - بتحرير بيت المقدس والأرض المباركة حوله... وفي المقابل ينظر الإنسان إلى الصهاينة وكيف تفاعلوا مع وعد بلفور فيجد ما يلي :

١- الوعد إنما هو تصريح لأحد البشر ؛ فقد جاء في رسالة كتبها الوزير البريطاني « بلفور » ووجهها إلى البارون « دي روتشيلد » في ١٩١٧/١١/٢م جاء فيها ما ترجمته : « تنظر حكومة صاحب الجلالة البريطانية بعين العطف إلى إنشاء موطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل قصارى جهودها لبلوغ ذلك الهدف ، ومن المفهوم تماماً أنه لن ينفذ أي عمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية

والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين أو بالحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر ».

والناظر في هذا الوعد يتبين له معنى ما قاله Arthar Koestler في كتابه « Promise and fulfilment ، الوعد والوفاء » : « وعدت أمة - وعداً رهيباً - بأن تهب أمة أخرى أرض أمة ثالثة ».

ويعلق جارودي على فعل بلفور بعد هذا التصريح فيقول : « سرعان ما شعر بلفور نفسه بالخطر ، فكتب في ١٩١٩/٢/١٩م إلى " لويد جورج " يقول له : النقطة الضعيفة في وضعنا بشأن فلسطين ، هي أننا رفضنا مبدأ حق تقرير المصير ، فلو أن سكان فلسطين الموجودين بها حالياً استشيروا في ذلك لأعطوا - دون أدنى شك - رأيهم بالرفض للاستيطان اليهودي »[١] .

٢- بالرغم من هذا الوعد المضحك - المبكي فإن الحركة الصهيونية السياسية استغلته ، واستخدمت الأساطير والأكاذيب لإقامة كيان في فلسطين ، ولن أتكلم هنا عن هذه الأكاذيب والأساطير ، وإنما أحيل القارئ إلى كتاب رجاء جارودي بعنوان : ملف إسرائيل- دراسة الصهيونية السياسية - الذي نشرته بالعربية دار الشروق ببيروت ، وكتابه الآخر بعنوان : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، الذي نشرته دار الغد العربي. حيث يمكن بسهولة للقارئ أن يتبين أن الحركة الصهيونية السياسية إنما هي صورة للاستعمار الاستيطاني ، ووسيلة للإفساد القومي ، ولا يرجع أصلها لليهودية ، وإنما يرجع للمذهب الاستعماري الأوروبي الذي نشأ في القرن التاسع عشر... فالصهيونية تفسر التوراة تفسيراً متعسفاً قبلياً ، مزيفاً لإرادة الرب وذلك لإخفاء نواياها الدفينة وأهدافها السياسية...[٢]

٣- على الذين يتحدثون عن « السلام » مع « الكيان الصهيوني » أن يتدبروا قول " بنيامين نتنياهو " في كتابه : مكان تحت الشمس والذي نذكر هنا منه بقوله : « وفي إطار سياستها الجديدة ، تراجعت بريطانيا عن التعهدات التي أخذتها على عاتقها بموجب وعد بلفور إذ أصبح ما بدا في نظر البريطانيين حقائق أخلاقية ووعوداً قومية قبل تسلمهم الانتداب رسمياً ، في نظرهم الآن ، سياسة غير واقعية.

ففي عام ١٩٢٢م انتزعت بريطانيا شرق الأردن من منطقة الوطن القومي اليهودي. وبجرة قلم واحدة ، **انتزع من الأراضي المخصصة للشعب اليهودي ما يقارب ٨٠% من هذه الأراضي وتم إغلاق شرق الأردن بكاملها في وجه الاستيطان اليهودي حتى يومنا هذا...**

سلمت بريطانيا هذا الجزء من أرض " إسرائيل " إلى الملك عبد الله ، الذي ينتمي إلى الأسرة الهاشمية من مكة ، وتوجته أميراً وأقامت من أجله دولة جديدة باسم « شرق الأردن » ، واليوم (المملكة الأردنية) ، تلك الدولة التي لا زالت تعاني حتى اليوم من الظروف الاصطناعية لولادتها »[٣]

وأما دراسة هذا الكتاب فهي تعطي القارئ العربي نظرة موجزة لفهم الصهاينة " لوعد بلفور " وكيف اتخذوا الأسباب لتحقيق ما تحقق منه حتى الآن ، كما تكشف عن بعض الجوانب المستقبلية التي سوف تتبع لإنجاز وعد بلفور بالكامل ، فهل من متدبر ومستفيد ؟!

الهوامش :

(١) ملف إسرائيل - دراسة للصهيونية السياسية - ، روجيه جارودي ، دار الشروق ، بيروت ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٥٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨-١٩.

(٣) مكان تحت الشمس ، بنيامين نتنياهو ، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، عمان ، سنة ١٩٩٥م ، ص ٨٥.